

— ألا تفكر في رحلة إلى الجنوب  
بسيارتك في هذا الأسبوع؟ إني مستعد  
لأن أدفع ثمن البنزين. فإن أمانى هناك  
عملاً في جمع الفواكه وأود لو أستطيع  
الوصول إليه، فهل عندك سيارة؟  
نعم. إن عندي بقايا سيارة...  
واستمر الفتى يقول إنه قد يجد لى أنا  
أيضاً عملاً إذا وافقت على الذهاب معه.

## إنك لا تستطيع أن تضع حداً للحب

عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى

فلم أهتم بكلامه أول الأمر، ولكنه لم يكذب يمضى  
في الحديث حتى انتهى بي الأمر إلى القبول. ولم  
لا أذهب معه؟ وليس لى من عمل فى منطقتنا بعد  
أن تلف المحصول، فلا يخزون بحب العناية به وليس  
عندنا غير بقرة واحدة هى التى نحلها ونعيش عليها.  
فإذا ذهبت معه استطعت أن أحصل على شىء  
من المال وهيات لى فوق ذلك فرصة ناحية أخرى  
من نواحي العالم، وقد يكون هذا الفرض خيراً من  
الأول

« لقد أحبها، ولكن هذا الحب قد أدى  
إلى ذلك العذاب الأليم، فهل هو ملوم؟ »

كنا فى أواخر الصيف وكنت فى الثامنة عشرة  
من عمرى عند ما قابلت هارى برنسون فى أحد  
المقاهى وشربنا معاً فنجانين من القهوة. وكان العام  
مجدباً شديد الغبار، ضربت فيه المجاعة أطنابها فى  
هذه المنطقة الزراعية من روسيا حيث كنت أعيش  
مع أبى، منذ ماتت أمى فى العام السابق، على مزرعتنا  
المرهونة. وكنا فى حيرة لا ندرى كيف نقضى الشتاء  
إذا لم نضطر للاستجداء. ولم يكن هناك من عمل  
فى المنطقة يستطيع الإنسان أن يلتحق به، وكان  
الضييق مستولياً على نفسى ولعل آثاره قد بدت على  
وجهى وقد لاحظها هذا الشاب عند ما دخل من باب  
القهوة متأيلاً. وكان أسمر الوجه نحيل الجسم تدل  
ملابسه على أنها قديمة الاستعمال. ونظر الفتى إلى  
بميينه الزرقاوين البراقتين نظرة الفاحص وقال:

— مرحى!

فقلت له آخر الأمر وقد صاحفته معاهاً:  
سأوصلك بسيارتى  
وأخبرنى الفتى أن اسمه « هارى برنسون »  
وأجبت به بأن اسمى « توم ريتشاردز ». وانفقنا على  
أن نبدأ رحلتنا فى ساعة مبكرة من صباح اليوم الثانى،  
لتكون رحلتنا كلها نهراً انقضاء لحوادث الطريق  
ولنصل مبكرين فنستطيع اختيار عمل فى بساين  
الخوخ...

فهممت جواباً ومضيت فى شرب القهوة ناظراً  
إلى الصور الملصقة فوق المرآة، ومضى الفتى يقول  
فى لهجة ودية مرحة:

ومن هنا عرفت « لندا هوارد »، وكانت هى  
أيضاً تشتغل بجمع الفاكهة. وكان هارى قد  
قابلها فى السنة السابقة، وهو الذى قدمنى لها.

جيبها آثار ما نقيت في الحياة من متاعب ، وهي مع ذلك لم تطلب العطف من أحد ولم تكن لترغب في ذلك العطف

كانت الفتاة شريفة صادقة في سلوكها مي ، فقد أخبرتني منذ اللحظة الأولى بأمر ابنتها ولقد أحببتها من أجل ذلك . أحببتها حباً لم يكن ليخطر لي على بال أن أشعر في حياتي بعثله للإنسان . ونسيت أنني لم أكن إلا مزارعاً فقيراً ، ليس لي غير مزرعة مرهونة وسيارة محطمة ، وأنني على بعد أميال عديدة من موطني ... وقد أصبحت لا أشعر بشيء إلا أنني أحبها وأود أن أرها وأعني بأمرها فنظرت إلى يدي الكبيرتين اللتين يخيل إلي أنهما قادرتان على أن تسحقا الصخر ، وقلت مندفعاً في غير تفكير :

« أود أن تسمح لي يا ليندا بأن أعني بأمرك فانا كبير الجسم قوى البنية قادر على العمل . وأنا أحبك ، فهلا تزوجت مني ؟ وأنا أعدك بأن أكون أباً لابنتك خيراً »

أجنون هذا ؟ نعم . ولكنه جنون حلو لذيذ ! ولقد حاولت الفتاة أن تحاجني وأن تقنعني بأنني لا أقدر المسؤولية التي أحمّلها نفسي . وقالت إنها تعرف أنني سفير غير مجرب ، ولكنني لم أمكئها من الاستمرار في الإدلاء بما لديها من حجج محاول إقناعي بها باندفاعي فيما أنا مقدم عليه من غير تفكير ولم أستطع إلا أن أضربها مرة بين ساعدي وأن أقبلها . ولقد آمنت بأن ليس في الوجود قوة تستطيع أن تززع عزمي على العناية بأمرها وحمايتها وقالت ليندا :

— لا أستطيع الآن أن أعدك بالقبول يا يوم

وكانت واقفة فوق سلم تضع الخوخ الذهبي اللون في سلة معها ، وكانت عيناها لطيفتين باهتتي الزرقة يظللها غشاء من الحزن ، وكانت أكبر مني قليلاً في السن ولكني رأيتها أجمل شيء وقمت عليه عيني منذ وجدت في هذه الحياة

ولما طلبت منها لأول مرة أن تخرج معي ترددت ثم قالت :

— أنا ... لملك يا يوم لا تشغل نفسك بأمرى إذا أنا أخبرتك أنني أم طفلة صغيرة في الثالثة من عمرها

والحق أنني أجفلت عند سماع هذه الكلمات ، فقد كان يبدو عليها أنها صغيرة جداً ، ولكن حتى علمي بأنها كانت متزوجة من قبل لم يخفف من رغبتني في ملازمتها

وقلت لها إنها لتبدو أصغر من أن تكون زوجة قبل ثلاث سنوات ، فترغرت عيناها بالدموع وقالت :

— لقد كنت صغيرة جداً عندما تزوجت ، ولم يوافق أحد على زواجنا ولكننا كنا عنيدين

فتزوجنا بمبدأ عن أهلنا . ولم يكن لدينا مال كثير ولكننا كنا سعيدين بحبنا . ثم ولدت « نانسي »

وعلى أثر ولادتها مباشرة قتل زوجي في حادث سيارة فكان كل إنسان يقول لي : « ألم تقل لك » ...

فإن الحوادث من الأمور التي كانوا يتوقعونها من وراء زواجي على غير إرادتهم ، وهذا ما لم أستطع

أن أفهم له معنى . لذلك أخذت نانسي وتركت القوم وكلامهم . ومن ذلك الحين وأنا أحصل على

رزقنا بملي وكانت ليندا صغيرة الجسم تبدو عليها مظاهر

الأنفة والاعتزاز بالكرامة ، وكانت مرسمة على

فضحكت ليندا وقالت :

— يالك من بطة غالية ، ولو أننا استطعنا أن نأكل هذه الفطائر لكان لنا من عملك مؤونة وافرة ...

وتمشيت تلك الليلة مع ليندا ونانسي ، ولم تتردد نانسي في إبداء حبهالي ، وقد أصرت على أن أطعمها بلمعتها الصغيرة . ولقد صعب على أن أثبت يدي فلا ترنجف تأثراً ، وأن أخفي ما لا بد أن يكون قد بدا على وجهي وفي صوتي من عوامل الغيرة . ولكنني بذلت جهداً جباراً في تملك شموري ، وقد رجوت في نفسي أنني ربما استطعت إذا قبلت « ليندا » الزواج مني أن أحملها على أن تهمد بالطفلة إلى بعض أقاربها ، وخوفاً من أن تصبح نانسي حائلاً بيننا ألححت على ليندا في أن تزوج مني في التو . فقالت آخر الأمر إنها تقبل ما أطلب منها إذا رضيت أنا أن أسمح لها بالاستمرار في عملها الذي تكسب منها رزقها وقالت لي :

— إننا بعد أن ننتهي من هنا نستطيع أن نذهب إلى بترزدورب وفي مقدورنا هناك أن نقتصد وأن نبتاع بئمن رخيص ما نحتاج إليه من فاكهة وخضر . كذلك نستطيع أن نحصل هناك على مزرعة صغيرة وأن نعيش عيشة طيبة . ويترزدورب مكان طيب بديع للإقامة

فقلت :

— أنا يا حبيبتي لا أريد لك أن تعمل بيديك ، فإنني أستطيع أن أعمل بدلاً منك وأن أوفر الحياة الطيبة لنا جميعاً

ولكنها كانت تريد أن تشتغل بيدها فلم يكن بد من أن أسلم لها بما أرادت ، وهكذا أصبحت

لأنني أريد أولاً أن ترى ابنتي نانسي .

وفي ذلك المساء أخذتني إلى الغرفة التي تعيش فيها ، وكانت صاحبة البيت تعني بأمر الطفلة الصغيرة عندما تكون أمها متغيبية في عملها ، وكانت ليندا تساعد في أعمال البيت مقابل الأجر الإضافي للعناية بابنتها ، ولما وصلنا إلى الباب الخارجي رأيت طفلة صغيرة ذهبية الشعر في ثوب أزرق تلمب في الحديقة الأمامية ، وكانت تصنع فطائر من الطين وقد أعدت كثير أمنها وضعتها الواحدة بجانب الأخرى لتجف فلما سمعت وقع خطواتنا أسرعت إلينا جارية ، وألقت بنفسها بين ساعدي أمها ، وكانت أشبه ما تكون بها ، ولكنها عندما رفعت عينيها ناظرة إلى وجدت لونها أسود .

وشمرت كأن طمئة قد أصابت قلبي ، فقد ذكرت أنها ابنة رجل آخر ، رجل أسود العينين ، قد ضم ليندا بين ساعديه ، وقبلها ، وكاشفها بحبه ، فاستسلمت له . وما من شك في أنها قد أحبته وإلا لما تزوجت منه أبداً ، فقد عرفت ليندا معرفة جيدة من هذه الناحية ... وفي هذه اللحظة القصيرة تولد بغض نانسي الصغيرة في قلبي ، ولم يكن الأمر أن حيي ليندا قد ضعف ... ولكنني كرهت طفلتها لقد نفست عليها القبلات التي كانت تتمرها بها ليندا حبيبتي ، وإنك لتشمر من عطف هذه المرأة الصغيرة على ابنتها أنها تتخيل أن الشمس قد أشرقت ثم تجسمت في شخص هذه الابنة الصغيرة .

وأشارت الطفلة بأصابعها الملوثة بالطين إلى الفطائر المصفقة على الأرض وقالت لأمها :

— أنظري يا أمي ، إنني أعمل لك فطائر الحب طوال النهار

وكان الطبيب اسميث الذي يعالج ليندا طبيباً عاماً غير مختص بفرع من الفروع ، وقد قال لي إنه إذا نجت امرأتى من الموت فليس هناك غير رجل واحد في جوهانزبرج هو الذى قد يستطيع أن ينجىها بأن تعيش حياتها عرجاء عاجزة ، ولكن الإقبال على هذا الرجل شديد وهو يلح قبل أن يتولى العلاج فى أن يثق مقدماً بأنه سينال أجر عمله . واسم الرجل ليونارد وقد أعطانى سميت عنوانه

وقد اضطررت فى اليوم الذى ذهبت فيه لمقابلة هذا الطبيب أن آخذ نانسى مئى ، لأن صاحبة البيت كانت مشغولة . ولم يكن شعورى حيال الطفلة قد تغير فى كثير أو قليل . فقد كنت لا أزال أبغضها على الرغم من أنها كانت فتاة عزيزة طريفة ، وكنت أنفـس عليها مشاركتها لى فى حب ليندا ، ذلك الحب الذى كنت أريده خالصاً لنفسى من دون الناس . ولقد كانت ليندا أخبرتنى بأن أقاربها فقراء لا يستطيعون أن يؤوا نانسى حتى إذا هى رغبت فى مفارقتها

وفى أنا والطفلة جالسان فى غرفة الاستقبال الكبيرة بدار الطبيب الدائع الصيت درجت نانسى إلى الشرفة وشرعت تلتقط من أصص الأزهار قطعاً من الطين تبرمها بين أصابعها . وقد نظرت إلى بعينها السوداوين نظرة جدية وهى تربي الفطائر الدقيقة التى صنعتها وزينتها بورق من أزهار الطبيب وقالت لى :  
— فطائر الحب لأمى ...

ولم بطاوعنى قلبى على إسكانها بل لقد كنت فى الواقع غير متنبه لها ، فقد كنت كالرجل التائه ، لا أدرى من أين آتى بالمال الذى أدفع منه أجر عملية « ليندا »

وأخيراً حضر الخادم وأخبرنى أن الطبيب فى

أستخلصها لنفسى النهار كله ، فقد كنا نقضى اليوم فى جمع الفاكهة من البستان الكبير جنباً إلى جنب نختلس القبلات من لحظة إلى أخرى ونحن متسلقان أغصان الشجر

وذهب هارى فى الحال إلى بستان آخر ، وكان كثير التجول والارتحال فلم أره قط بعد ذلك ، حتى لم أجد الفرصة التى أشكر له فيها ما هياً لى من أسباب السمادة بإحضارى إلى هذا المكان الذى وجدت فيه المرأة التى أحببت والتى رفعت على الحياة وأوشكت السنة أن تنتهى وكنا فى ختام موسم جمع الفاكهة ، وكان بعضها لا يزال عالقاً فى أعلى الشجر ، فبينما كانت ليندا متسلقة إحداها لقطف هذه الثمرات الأخيرة زلت قدمها وسقطت ، ولم يكن سقوطها على الحشائش اللينة التى لا خوف من السقوط عليها ، ولكن فوق جذع شجرة مقطوعة وكان الجذع بطبيعة الحال صلباً وقد نتأت منه أطراف حادة غير منتظمة تلقىها كأنها أصابع من الفولاذ ، فحملتها خفيفة عرجاء وجريت بها مسرعاً إلى العربة حيث أرقدناها فى لطف على بعض الأحفنة ولكنها لم تفتح عينيها ، وأرسلنا فى طلب الطبيب فجاء وفحصها وقال إنها لم تمت ولكنه يخشى أن يكون ظهرها قد كسر

وخيل لى فى الأيام القليلة التى تلت هذا الحادث أنى أعيش تحت ضغط كابوس مخيف . لقد رقدت ليندا فى المستشفى ضعيفة صفراء لا تقدر على أكثر من الهمس ، ولما قبضت على يدها الصغيرة بأصابعها الملونة بالدم وأظافرها المكسورة كانت الكلمات الأولى التى همست بها لى وأنا أنحنى عليها قولها : « نوم ... حبيبي ... أرجوك أن تعنى بنانسان وأن تحوطها بطيبتك وكرمك »

ولعله قد خيل إلى أن الطبيب متى عرف أن  
الطفلة ابنتي وأنى أحبا كان ذلك من العوامل التي  
تقربني بأن أكد في العمل لأقتصد أجر علاج أمها  
فضحك الرجل وحمل نانسى فأجلسها على ركبته ،  
وتظاهر بأنه يقضم قطعة من الفطيرة ، فقال وقد  
ضحكت نانسى من قوله ضحكة قلبية رقيقة :

مم . مم . مم ... إنها لذيذة

وكان الرجل قد سحره جمال الطفلة فلم يستطع  
تحويل نظره عنها ، وعبث بأصابعه في شعرها الذهبي  
الجليل وقال في لطف :

إن لأود أن تكون لي ابنة صغيرة مثلك !  
ثم كأنه تذكر أنه قد نسيتني ، فوقف بمد أن  
رفع الطفلة ووقفها على الأرض في لطف وقال :  
سأخبرك بما أنا صانع ... لقد أوصى لي بمض  
الناس منذ بضع سنوات بمنجم ذهب قد انتهى العمل  
فيه . فإذا أُجيب أن تذهب إلى هناك وتحفر فيه ،  
فقد تحصل منه في اليوم على بضع شلنات قد تكون  
كثيرة وقد تكون قليلة . وسنقتسم ما تستخرجه  
مناصفة ، ومقابل ذلك أتولى علاج امراتك ، وهناك  
عشة قديمة ولكن يكون مقامك هنا شائقاً ويبدو لي  
أنك رجل لا تهاب العمل  
فقلت :

أنا لا أهاب شيئاً يا دكتور ، وكل ما أطلبه  
هو الفرصة

وشددت على يده بيد لعلها كانت قاسية ساحقة ،  
فقد رأيت عينيه تنمزان تألماً ، وسحب يده مسرعاً  
وقدم لي ورقة وهو يقول :

هذه هي التعليمات التي ترشدك إلى المكان ، وهو  
واقع على مسافة حوالي مائة ميل من جوهانسبرج  
في بقعة موحشة من بقاع الأرض

انتظاري ، وكان الطبيب كهلاً صغير اللحية أزرق  
العينين جامد النظرات في حدة ، يدها صميرتان  
صناعان

وقال الرجل بعد أن قدمت له نفسه :

نعم أنا أعلم أن اسميث هو الذي أرسلك إلى هنا  
فأنت الرجل الذي حدثني عنه . فقد كسرت  
امراتك ظهرها ، وإنى لأعتقد أنه يمكن شفاؤها  
من أن تمشي عرجاء ، ولكن يجب أن تفهم أنها  
تحتاج إلى عملية جراحية وإلى قضاء أسابيع وأشهر  
في المستشفى ، وهذا كله يتطلب المال  
فقلت :

سأحصل على المال المطلوب يا دكتور بأية  
وسيلة كانت حتى ولو عصرت من الأرض الصلدا  
بيدي الماريتين . وكل ما أطلبه منك هو أن تهني  
لي فرصة كسب هذا المال ، وأنا مستعد لعمل كل  
شيء يمكنني من غايتي

وإنى لأعرف أن الرجل كاد يرفض رجائي ،  
إذ كان ذلك متجلياً في عينيه ، عند ما فتح الباب  
في بطاء وأطل منه وجه نانس المشرق الجليل  
وأجهت الطفلة مباشرة إلى الطبيب ومدت إليه  
يدها بالهدية التي أعدتها لأمها وقالت :

انظر ! هذه فطيرة لطيفة ، فطيرة حب لذيذة  
خذ ذقها !

وتظاهرت بأنها تمض الفطيرة بأسنانها الصغيرة  
البيضاء ومدت بها يدها للطبيب ، فبدت الرقة في  
عينيه عند ما نظر إليها  
فسألني :

هذه ابنتك الصغيرة ؟  
وشعرت بدافع في نفسي أغراني بأن أجيب

« بنعم »

لا تشكو أبداً من سقطه أو كسمة ولا تطلب قبلة  
ولا ملاطفة كما تطلب الأطفال ولا تسأل معروفاً ،  
ولكنني كنت أنفس عليها ما تأكل من الطعام  
شاعراً بأن ذخيرتنا منه ستنتهي قريباً وعندئذ  
نضطر إلى العودة

ثم بدأت الليالي يشتد بردها ، ولولا نانسي  
لأطلت إقامتي ، ولكنها لم تقو على احتمال الجو ،  
واقترب الوقت الذي كان لا بد أن تبادر فيه النجم  
وكنت قد جمعت كمية من تبر الذهب وضعتها  
في كيس صغير أخفيته في صندوق الطعام داخل  
العشة ، لأن جيوبى كانت من القدم بحيث لا تحتل  
ثقله إذا أنا حملته فيها ، ولعل هذه الكمية تقدر  
بمشرين جنيهاً أو لعلها تبلغ مائة من الجنيهات ،  
فلم أكن لأعلم شيئاً عن سعر الذهب ، على أن هذا  
المحصل كان عملاً ابتدائياً على كل حال ، وقد اعترمت  
أن أقصى يوماً آخر في البحث ثم تعود

وفي هذا اليوم الأخير لم أكد أعتز على شيء  
فلما بدأ الظلام يهبط اتخذت الطريق القصيرة الموصلة  
إلى العشة ، حتى إذا بلغت نهايتها ودرت وراء  
الأغصان اللثوية سمعت صوتاً خشناً يقول :

— أين أبوك أينها الطفلة الصغيرة ...

ثم سمعت صوت نانسي تجيب :

— لقد ذهب إلى المنجم ...

فقال الرجل :

— م ... م ... ذهب يحفر عن الذهب ...

حسن فسننتظره ، وهل لديك شيء يؤكل ؟

فقال الطفلة :

— فطير لليد .

ورأيت نانسي من وراء الأغصان تمد يدها

بفطائرهما الطين إلى أبشع رجلين رأيتهما في حياتي ،

وهكذا أصبحت أنا ونانسي من المعدنين  
في مناجم الذهب ، فلم يكن بد من أن أستصحبها  
مى إذ لم يكن فى وسى أن أدفع أجر امرأة تقوم  
على العناية بها ، وقد طلبت منى ليندا أن آخذها منى  
إذ قالت فى صوتها الضميف الرقيق :

إنها تحبك يا توم ولن تمنحك فى شيء فأحسن  
معاملتها .

ولقد بكيت وأنا أقبل ليندا مودعاً ، كذلك  
قبلتها نانسي ووعدها بأن تصنع لها كثيراً من فطائر  
الحب ، وخرجت منى واثبة فى ملابسها القصيرة  
وحدائرها المريح

وحملنا السيارة القديمة مؤوتنا ووضعنا كرسى  
نانسى العالى — بعد أن نرعت أرجله — فوق  
السيارة ونانسى جالسة فيه مربوطة ، وتركنا الدار  
فى ساعة مبكرة من صباح أحد الأيام الأخيرة من  
فصل الصيف ، وكانت نانسى تقنى وقد ملئ قلبى  
بالآمال السكبار فى شفاء جيبتي ليندا ، جلت مشيئة الله  
لقد جهدت فى العمل أستخلص ذرات الذهب  
اللامعة من الصخور الصلدة القاسية ، ولم أحصل  
فى بضعة أيام على غير حبات قليلة لا يحس الإنسان  
حملها فى يده ، ويمد بضعة أيام أخر أصبح ما لدى  
كافياً لأن أشعر بثقلها فى كفى ، وكان يحدونى  
الأمل دائماً فى أن يصيب معولى جيباً من الأرض  
لم يفتح بعد أو عرفاً غاب عن أنظار المعدنين ، وكانت  
نانسى تقضى يومها العبة مريحة تصنع فطائر الحب من  
الطين وتربها بقطع دقيقة من الأحجار أو التوت  
الجاف أو ورق الشجر وكانت فى الليل تصغف فوق  
المائدة القائمة وسط عشتنا الصغيرة ما أنجزت عمله  
فى أثناء النهار ، وبدأ شعورى نحو الطفلة يتغير  
إلى نوع من الحسد فقد كانت طفلة جريئة شجاعة

واختطف الفطيرة من يدها وألقيتها بعيداً  
خارج العشة وسط الأغصان  
ولا بد أن أكون قد نمت بعد ذلك نوماً عميقاً ،  
لأننى عند ما استيقظت كانت الشمس قد أشرقت  
وكنت أشعر بصداع شديد ، ولم يكن الجرح عميقاً  
ولكن شدة الصدمة هي التي أوقعتني  
على أنني لم أجد لنانسي أثرأ في أى مكان  
وذكرت الكلمات الخشنة التي خاطبتها بها في المساء  
فصحت :

— نانسي ... أين أنت ؟

ولكننى لم أسمع وقع خطواتها الصنيرة ولم أسمع  
صوتها الرقيق يقول « ها أنا ذى »  
ماذا تكون الحال لو أن حادثاً قد أصاب نانسي  
وماذا تظن بي ليندا إذ ذاك ؟ وكيف أعمل إذا كانت  
كلماتي الخشنة هي التي دفعتها إلى الهرب من وجهي  
فضت في الظلام بعيداً عن العشة وماهت ؟

خرجت من العشة جارية وسط الشمس المشرقة  
أصيح وأنادى مفقشاً بين النصوص المشبكة ، وعلى  
حين فجأة شعرت بأن الثلج الذي تجمد حول قلبي  
قد ذاب وأدركت أنني أحب ابنة امرأتى ، فلم أحتمل  
فكرة أن يكون قد أصابها أى مكروه

لقد كان كل ما حدث نتيجة خطأى ، لقد  
كانت الطفلة تحاول أن ترضيني وترفه عنى بكل  
ما لديها من وسيلة

كانت الأغصان المحيطة بالعشة كثيفة ، وقد  
قششها تفتيشاً دقيقاً ، وأنا أفكر في الأفاعى وفي صقيع  
الليلة الماضية ، وفي الأفاقين اللذين هاجماني واللذين  
يحتمل أن يكونا قد ابتعدا جداً كما يحتمل أن يكونا  
قد عادا باحثين عن شيء آخر وتكون الطفلة قد  
وقعت في أيديهما

فقد كانت أمارات الشر والإجرام تطفح من وجهيهما  
وفي هذه اللحظة رأني أحدهما فانزع مسدساً  
من بين طيات قميصه وصوبه نحوي وهو يقول :  
— تقدم أيها الممدن وأرني محصول يومك  
فوقفت خاضعاً في حين قشش جميع جيوبى وكل  
طية من طيات ملابسى ولكنهما لم يجدا شيئاً  
فقدم الرجل :

— نتيجة سيئة .. وماذا علينا إذا فتشنا العشة ؟  
وعلى حين فجأة رأيت كل شيء يحمر في نظرى  
فضربته بقبضتى ، ثم شعرت بصدمة رصاصة في  
جبهتى ، وأحسست بأيد كبيرة قوية تخنقنى من  
خلف ، ثم فقدت شمورى . فلما عاد إلى صوابى  
وجدت نانسي جالسة إلى جانبي تربت على شعرى  
بيديها الصغيرتين  
وقالت :

— لقد ضربك هؤلاء الأشرار يا أبى ...  
استيقظ يا أبى فقد ذهب هؤلاء الأشرار  
فجلست مخبولاً ولكنى ما كدت أذكر ما حدث  
حتى اندفعت إلى داخل العشة . لقد قششوها فقد كان  
صندوق الطعام مقلوباً وكان الكيس ملقى في أحد  
الأركان فارغاً . لقد ضاع الذهب ، سرق ، وذهب  
شقاؤ كل سدى ، فانا مضطر أن أعود خالى اليدين  
ولن يجرى الطبيب العملية لليندا وستبقى طوال  
حياتها عرجاء . فلعلت الحياة وسييت الوجود  
وأنحطت نفسى آخر الأمر ، فاندفعت في البكاء  
وقد انطرحت فوق الأرض ... حيث أقبلت نانسي  
على وديمة تقدم لى ما صنعت فى يومها من فظائر  
لا تزال لينة غير جافة فصحت بها :

— ابعدى هذه الأشياء من هنا ... إنها قدرة  
لا تساوى شيئاً ... اطرحها بعيداً ...

أدركت أن هذه القصة ستكون برهاناً صادقاً على ما عملت  
تستطيع ليندا حبيبتى الآن أن تمشى بمساعدتى،  
وكان الذهب الذى حصلت عليه مائة جنيه حملتها  
نانسى العزيزة إلى الدكتور فى فطيرتها المكسورة ...  
وكان الطبيب قد عمل العملية لليندا وهى الآن فى دور  
النقاهة ...

وقال لى الطبيب مبتسماً :

— لقد كنت واثقاً أنك لن تخل بكلمتك لى  
وقد برقت عيناه وبللتها الدموع بعد أن سمع  
قصتى وقال :  
— إن أى إنسان لينذل حياته من أجل زوجة  
وظفلة مثل هاتين

لقد أصبحت نانسى الآن شابة تخطت سن  
صنع فطائر الطين ، ولكنها تفكر دائماً فى أشياء  
تعملها لأمرها ولى . وعندنا الآن مزهرتنا الصغيرة  
فى بيترزدورب ونحن جميعاً سعداء ، وكلما نظرت  
إلى نانسى ووجهها الجميل ولطفها عجبت كيف لم أحبها  
دائماً مثل ما أحبها الآن . إنى لأحبها كما أحب  
ابنتى الحقيقية .. فهى عندى أعلى من كل شئ ..  
أعلى من الذهب ... ولما كنت اعترفت لليندا فى  
استحياء والدموع فى عيني أنى كنت فى وقت  
من الأوقات لأحب نانسى كانت تطوقنى بساعديها  
وتقول :

— لقد عرفت ذلك وكنت أشعر به . ولعل  
ذلك الألم الذى شعرت به يا عزيزى والذى أحسسته  
أنت طوال الصيف الماضى هو الذى دفنك الآن إلى  
أن تحبها هذا الحب وإلى أن تدرك كم هى عزيزة محببة  
نم ربما كانت هذه هى الحقيقة . ولعل لنا  
فى الحياة خطة رسمتها يد واحد أعقل وأقدر منا جميعاً

عبد الحميد محمدى

ثم سمعت ما خيل إلى أنه صوت ملاك هابط  
من السماء، سمعت صوت نانسى موسيقياً حياً، قادماً  
من وراء صخرة قائمة أمام المشة وهى تقول :  
— ها أناذى يا أبى... لقد وجدت الفطيرة ...  
ولكنها مكسرة قطعاً !

ورأيت نانسى جالسة على الصخرة وإلى جانبها  
فطيرتها المكسورة وقد كشف مكان الكسر عن  
ذرات من الذهب البراق ... ذهبى الذى ظننت أنه  
قد سرق ... فسألتها :

— ما هذا الذى فى فطيرتك يا نانسى ومن أين  
أحضرتة ؟  
فقال الطفلة :

— من صندوق الطعام ... فإن دقيق القمح  
يصلح فطيرة لتبذة لأمى ...  
قلت :

— دقيق القمح ... ولو أنك لم تأخذه من  
الكيس لأخذه هؤلاء اللصوص ! يالك من طفلة  
عزيزة يا نانسى !

وحلت الطفلة قبلتها فى وجهها وفى يدها وفى  
كل ما وصلت إليه شفتاى ... ولم ألبث أن شعرت  
فى نفسى بإحساس غريب فاندفعت فى البكاء  
فقال الطفلة :

— لا تبكى يا أبى ... فستصنع نانسى فطيرة  
أخرى ...

وقد ظنت الطفلة العزيزة أنى أبكى على الفطيرة  
المكسورة فقلت وأنا أبكى وأقبل الفتاة فى لهفة شديدة:  
— إنك لن تصنى أبداً يا عزيزتى فطيرة مثل  
هذه ... فهى فطيرة لم يصنع قط أحد مثلها . ومن  
المحتمل ألا يصنع أحد مثلها أبداً »

ولمت الفطيرة المكسورة على حالها لتمطيها نانسى  
بيدها للطبيب عند ما نصل إلى جوهانسبرج ، وقد